ترتيب المداخل وتعريفها
في معجم الغنيّ الزّاهر

أمينــة أدردور

المعهد الجامعيّ للبحث العلميّ
جامعة محمّد الخامس - المغـرب

الملخّــص

يقوم التأليف المعجمي عامة على خطوتين أساسيتين تتمثلان في جمع المادة أو ما يصطلح عليه تكوين المدونة المعجمية، ومعالجة المداخل التي يشتمل عليها المعجم. والحديث عن معالجة هذه المداخل يقودنا بالضرورة للتطرق إلى أمرين أساسيين هما: ترتيب المداخل وكيفية تعريفها في المعجم.

سنركز في هذا الموضوع على هاتين المسألتين في معجم الغني الزاهر (2013) لمؤلفه الدكتور عبد الغني أبو العزم. والمقال عبارة عن دراسة للمنهجية المعتمدة وتقييمها في المعجم، فيما يخص ترتيب المداخل وتعريفها.

Résumé

La lexicographie se base généralement sur deux étapes essentielles : la collecte de la matière ou ce qu'on appelle le corpus lexical et le traitement des entrées. Ce dernier point nous incite nécessairement à parler du classement des entrées et de la façon dont ces entrées sont définies dans le dictionnaire.

Nous nous intéressons dans cette communication à ces deux questions dans le dictionnaire al-Ghani al-Zahir (2013) de Abou al-Aazm.

L'article a pour objectif d'étudier et d'évaluer la méthodologie suivie en ce qui concerne l'ordre des entrées et les définitions attribuées à celles-ci dans le dictionnaire.

Abstract

Lexicography is generally based on two basic steps : collection of the data or what is called the lexical corpus and the treatment of lexical entries. This last point leads us necessarily to talk about the classification of entries and how these latter are defined in the dictionary.

In this paper, we are interested in these two questions in al-Ghani al-Zahir dictionary (2013) of Abou al-Aazm.

This presentation aims at studying and evaluating the methodology regarding the order of entries and the definitions assigned to these entries in the dictionary in question.

تقديم

عرفت اللغة العربية نهضة علمية في مجال تأليف المعاجم بمختلف أنواعها منذ القرن الثاني للهجرة حتى اليوم. والتراث العربي يزخر برصيد ثمين منها مما شكّل ذخيرة لغوية واصطلاحية، وصارت ملجأ المتلقي والباحث عن المعلومة، ومرجعاً أساسياً للمعجماتي؛ نظراً لما تقدمه من معلومات في شتى المجالات. تعنى المعاجم اللغوية بمفردات اللغة فتشرحها وتوضح معانيها وتورد ترتيبها وفق منهج معين.

وترتيب المفردات في المعاجم اللغوية يعد أمراً في غاية الأهمية، إذ أن كيفية الترتيب بمختلف أنواعه تهدف إلى تسهيل عملية البحث عن مفردة ما داخل المعجم، وإلى تيسير مهمة الكشف عما يحتويه هذا الأخير من مفردات اللغة. ومن المعروف أن ترتيب المداخل في المعجم العربي، قد عرف تحولات كثيرة منذ أن وضع أسسه "الخليل بن أحمد الفراهيدي" (100/ 175هـ) الذي أسس بامتياز النّشأة الأولى للمعجم العربي ووضع أسس نظرية معجمية تطبيقية قائمة الذات.

يقوم التأليف المعجمي عامة على جملة من الخطوات، تتمثل في جمع المادة أو ما يصطلح عليه تكوين المدونة المعجمية، ومعالجة المداخل التي يشتمل عليها المعجم. ومعالجة هذه المداخل، يقودنا بالضرورة للحديث عن أمرين أساسيين هما: ترتيب المداخل وكيفية تعريفها في المعجم. سنركز في هذا الموضوع على هاتين المسألتين في معجم الغني الزاهر (2013) لمؤلفه الدكتور عبد الغني أبو العزم.

نقصد بترتيب مداخل المعجم، المنهج الذي اتبعه المؤلف في ترتيب ألفاظ معجمه وعرضها لتقديمها للمستعمل، بغية العثور بسهولة على المعلومة المطلوبة. وكما هو معروف فإن منهجية ترتيب المادة اللغوية، وكيفية تعريفها وتقديمها للقارئ، تكتسي أهمية كبرى في بناء المعجم، وتعكس نظرة المعجماتي إلى ألفاظ اللغة، موضوع الوصف، والهدف المتوخى من وراء تصنيف المعجم.

والمقال عبارة عن دراسة للمنهجية المعتمدة وتقييمها في المعجم، فيما يخص ترتيب المداخل وتعريفها.

1. معجم الغنيّ الزّاهر

يتكون معجم الغني الزاهر من مادة لغوية مهمة، تشمل مجالات معرفية متنوعة باعتبار توجهه إلى فئة عريضة من القراء والمستعملين. فإذا كان معجم الغني (2001) يتوجه بالأخص لطلاب المدارس في بيئتهم العربية، فإن معجم الغني الزاهر يتوجه لشريحة كبيرة ومتنوعة من الطلاب والأساتذة والباحثين والصحافيين، ولكل الراغبين في معرفة اللغة، كيفما كان مستواهم الثقافي، مما جعل حجمه يتضاعف من 30.000 مدخل (معجم الغني) إلى 65.880 مدخل.

«وتبلغ صفحاته أزيد من 38.586 صفحة، وزهاء 1000 رسم، بما في ذلك اللوحات الفنية والخرائط، و10038 شاهد، وأزيد من 2000 آية من آيات القرآن الكريم». («مقدمة المعجم»، ص XI) ويحتوي المعجم أيضاً على عدد هائل من المتلازمات والمسكوكات والاستشهادات الإيضاحية التي بلغ عددها حوالي 21028 مثالاً («مقدمة المعجم»، ص XI). وهذا يوضح أن المعجم لا يهدف فقط إلى تحصيل المعرفة اللغوية، بل يسعى أيضاً «إلى اكتساب المعرفة بأساليب العربية وبلاغتها ومجازاتها، والتمكن من الدقة في التعبير والكتابة» . («مقدمة المعجم»، ص XI).

اعتمد المؤلف بالنسبة لمادة معجمه على معجم الغني الذي أخرجته شركة صخر في قرص مدمج، إلا أنه أضاف إليه جزءاً كبيراً من التراث الشعري والنثري والعلوم الحديثة. فكما يقول صاحب المعجم في المقدمة : اعتمدت على «أمهات الكتب والدواوين الشعرية، والنصوص الروائية والقصصية، والمقالات الأدبية، بالإضافة إلى مجمل المعلومات المرتبطة بالمصطلحات العلمية والأدبية، وعلوم الطبيعة من حيوانات ونباتات، وعلوم الدين ومذاهبه، والفيزياء والكيمياء، والطب والفلك والجغرافية والتاريخ.» (ص. X). واعتمد أيضاً على مختلف المعاجم القديمة والحديثة، وعلى مواد المجامع العربية

اللغوية. وعمل على إدخال بعض الألفاظ المهملة، لأنها تشكل في نظر المؤلف، جزءاً من تراث العرب لورودها في أشعارهم ونصوصهم الأدبية، أو لعلاقتها بالدين أو بالفِقه أو الفلسفة أو الشعر.

ويتضمن المعجم كذلك أعلام دول العالم، ولائحة للمختصرات والرموز المستعملة، ولائحة بأسماء الأدباء والكتاب الواردة أقوالهم في متن المعجم. وقد قُدمت هذه الأسماء مرتبة حسب الأسماء الشخصية، ثم العائلية مع بعض الاستثناءات ذات العلاقة بالشهرة.

يتضح غنى المواد في معجم الغني الزاهر من خلال قائمة المصادر التي اعتمدها المؤلف والتي تطلعنا عن ألفاظ المعجم المأخوذة من هذه المصادر، من حيث كوْنها ألفاظاً فصيحة أو مولدة (مو) أو معربة (مع)، أو دخيلة (د)، أو محدثة (محد)، أو عامية (عا) مع تحديد أصولها سامية كانت أو فارسية أو تركية، كما توضح ذلك المداخل التالية :

تابو (د) (أنج) (taboo)، تاتَنُوس (د) (يو) (tetanos)، دِبْلومٌ (د) (لات)، (diploma)، تانْكو (د) (إسبا-لاتينو)، كاغَدٌ ج. كَواغِدُ. (مع) (فر) (كاغد)، خصخصة (محد)... (مصطلح شائع بالشّرق العربي)، وخوصصة (محد) ... (مصطلح شائع بِبُلدانِ الْمَغرب العربي)...

نلاحظ أن الألفاظ ذات الأصول الأجنبية، لاتينية أو يونانية، قد كتبت بالحرف اللاتيني رفعاً لكل التباس، مما يمكن القارئ من الرجوع إلى المصادر الأجنبية لتحقيق المزيد من المعرفة والتوضيح، كما ورد في المعجم. أما الكلمات الدخيلة مثل «تأسلم»، و«تسرأل»، و«تفرنس»، و«تمغرب»، و«تنصر»... فقد تم إخضاعها للقوالب الصرفية العربية. واعتمد المؤلف معايير خاصة بالنسبة لبعض ألفاظ اللهجات المتداولة بكثرة في الكتابات الروائية أو الصحفية (مثل براد، بردقوس، برزقة، بسباسية، بندير، بوز، دربوز، كسكس، كسكاس، بلطجي، بلطجية، شبيحة) مع الإشارة دائماً إلى نوعية هذه الألفاظ، مولدة كانت أو دخيلة أو معربة أو عامية...

رُتبت مداخل المعجم ترتيباً ألفبائياً يخضع لنطق الألفاظ. وكما هو معروف، فإن هذا الترتيب الذي مازال ينظر إليه بنوع من الحذر قد سبق إلى تطبيقه وتطويره جار اللّه الزمخشري في أساس البلاغة ومن المحدثين عبد اللّه العلايلي في معجمه «المرجع» وغيره.

إن منهجية ترتيب المادة اللغوية وكيفية عرضها على القارئ أو المستعمل يعكس بالدرجة الأولى نظرة المعجماتي إلى ألفاظ اللغة موضوع الوصف، والهدف الذي يرمي إليه من وراء تصنيف معجمه. وقد برر المؤلف هذا الاختيار بقوله في "مقدمة المعجم" :

«المادة اللغوية الواردة في المدونة المعتمدة، تقدم مجمل الكلمات في تعابير ذات استقلالية، حيث تحتاج إلى شرح مستقل، وهذا ما يفرض توزيعها وفق نطقها، ووضعها في مكانها التَّرْتيبي على حدة، ولأن سياق التعبير يدعو المعجماتي للحفاظ عليها كما هي، ليتمكن من التعريف بها وشرحها، بغض النظر عن كونها تنتمي لمادة لغوية ذات جذر واحد.» (ص XIII). بالإضافة إلى ذلك فإن هذا النمط من الترتيب يؤدي، في نظر المؤلف، وظيفة تعليمية بالمادة اللغوية ووظيفة معجماتية.

والجدير بالإشارة أن ترتيب الكلمات حسب نطقها لم يجعل المؤلف يغفل ذكر جذورها حيث تم وضعها بين معقوفين، وذلك بغية الحفاظ على خصائص اللغة العربية، باعتبارها لغة اشتقاقية. والواقع أنه رغم أهمية الترتيب الجذري وفوائده التي تتجلى في تجميع شمل العائلة اللفظية، مما يجعل التعريفات أقصر وأيسر على الفهم، فإن الترتيب الألفبائي يسهل العثور على الكلمة المطلوبة بالنسبة للمتعلمين غير المتخصصين الذين لا يستطيعون استخلاص الجذر من الكلمة التي يبحثون عن معناها في المعجم، فضلاً عن أن كثيراً من الكلمات المعربة لا جذور لها أو يصعب تحديد جذرها الحقيقي، أو حتى اتفاق المعجماتيين عليه (مثل «ميناء»، «سنتمتر»، «منجنيق»، «رادار»). والواقع أن كلا الترتيبين يعدان نمطين من بين الأنماط الترتيبية التي عرفها

المعجم العربي خلال مساره وأن كل واحد منهما يكمل الآخر، ولا يلغيه، بل يخدم وظيفة وهدف معينين.

اختار المؤلف الترتيب الألفبائي حتى بالنسبة لترتيب الهمزة، باعتبارها حرفاً مستقلاً في المعجم، حيث لم يخضع ترتيبها لموقعها فوق الواو أو الياء، فترتيبها يأتي مباشرة بعد الألف اللينة (آ، ا، ئ، أ).

وبالنسبة لترتيب المقولات المعجمية، فقد تم تقديم الأفعال أولا ثم الأسماء والمصادر والفواعل والمفاعيل والحروف والظروف. حُددت هذه الألفاظ في كل مدخل قائم بذاته. فالأفعال قُدمت حسب حروفها (ثلاثية أم مزيدة) مع الإشارة إلى لزوميتها أو تعديها، أو تعديها بحرف أو أكثر، مع تقديم اللازم منها على المتعدي، والمجرد على المزيد، والإشارة إلى مضارعها لتوضيح عين الفعل، ثم الإتيان بمصادرها مرفوعة، على عكس ما دأبت عليه المعاجم التقليدية.

ولتسهيل عملية البحث في المعجم اعتُبر الحرف المشدد حرفاً واحداً دون فك إدغامه، فكلمة «فَكَّ» يُبحث عنها في «فَكَّ» وليس في «فكك»، والأفعال المزيدة مثل كلمة «اختلق» توجد حسب ترتيب أحرفها، وليس في «خلق» مع وضع جذور الكلمات بين معقوفين [خ ل ق] سواء كانت أفعالاً أم أسماء وذلك لمعرفة أصولها.

وتم كذلك تحديد مجال اشتغال الأسماء، جامدة كانت أو حيوانات أو نباتات، وتقديم المعنى الحسي على المعنى العقلي والحقيقي على المجازي، مثلاً :

رَحىً، رَحاً - [ر ح و] : مُثَنّاها. رَحَوان. ج. أرْحاءُ. 1. حَجَرَتانِ صُلْبَتانِ نِصْف دائرَتَيْن تُوضَعُ إحْداهُما علَى الأُخْرَى وَتُدارُ أعْلاَهُما باليَدِ عَلَى قُطْبٍ، وذَلِكَ لِطَحْنِ الحُبوبِ. "«لَيْسَ هُناكَ سِوَى الرَّحَى تَطْحَنُ القُلُوبَ وَتُفْرِزُ الأَلَمَ» (الطاهر وطار). 2. «دارَت رَحَى الْحَرْبِ بَيْنَ القَبيلَتَيْن» : نَشِبَتْ الْحَرْبُ 3. : «دارَتْ عَلَيْهِ رَحَى المَوْتِ» : ماتَ. 4. «رَحَى الجَمَلِ» : صَدْرُهُ. 5. «رَحَى الظُّفْرِ» : ما حَوْلَهُ. 6. «رَحَى السَّحابِ» : المُسْتَديرُ مِنْها...

وكذا الشأن بالنسبة للمصادر التي قُدمت أيضاً وفق اشتغالها في النص مع حصر لدلالاتها. وهذا على خلاف جل المعاجم التي اعتمدت الطريقة الاشتقاقية على اعتبار أن «شرح الأفعال كافياً لفهم معانيها»، إلا أن هذا التصور، في نظر المؤلف، «ينافي الوظيفة المعجمية» ("مقدمة المعجم"، ص XI). وقدمت الفواعل والمفاعيل بدورها بحسب اشتغالها في النص مع تحديد دلالاتها، ومراعاة الإشارة إلى أفعالها. كما التُزم بتحديد صيغ الأبنية اللغوية ودلالاتها (أفْعَل، فَاعُول، فَعّال، فَعِلٌ، فَعيلٌ) باعتبار أن تحديد هذه الصيغ يساعد القارئ على استيعاب معنى المدخل، وبالأخص بالنسبة للأبنية التي تتردد باستمرار في المعجم.

ولم يهمل المعجم أيضاً حصر دلالة الحروف والظروف، ودلالة الفواعل والمفاعيل مع الإشارة إلى أفعالها خلافاً للمعاجم المعاصرة التي اكتفت بمجرد الإشارة المقتضبة. وقدم المعجم إلى جانب المعلومات المتعلقة بالصفات الصوتية للحروف مجموعة من المعلومات الصرفية والعروضية والكثير من العلامات والرموز التي سنتطرق إليها خلال الحديث في النقطة الموالية عن خصائص التعريف في المعجم.

2. التّعريف في معجم الغنيّ الزّاهر

يعدّ التعريف أصعب خطوة في العمل المعجمي، لأنه يقتضي الإحاطة بدقائق معاني الكلمات «العامة» و«الخاصة»، والعلم بأسرار اللغة ومضامينها المستحدثة، والعلاقات المفاهيمية المتقاربة بين الكلمات. ويقتضي أيضاً وجود نسقية بالنسبة لكافة مداخل المعجم.

ووعياً بهذه الصعوبة تضمن معجم الغني الزاهر جميع المعلومات التي من شأنها توضيح المعنى، قبل الخوض في تعريف المفردة. والتزم المؤلف في كل مواد معجمه بجعل مادة كل مدخل وحدة معجمية متناسقة ومترابطة، سواء بالنسبة للأفعال أم الأسماء أم الحروف وغيرها أو بالنسبة للحيوان أو النبات أو العلوم ... لأن الاتساق، في نظر صاحب المعجم، يعد «قاعدة منهجية

ترتبط ارتباطًا عضوياً بماهية التعريف» («مقدمة المعجم»، ص : XIX). وهذا ما سنلاحظه من خلال الأمثلة.

وبالنسبة للمعلومات الصرفية التي تعد جزءاً من التعريف، نظراً لاحتوائها على مجموعة من المعلومات التي تزيد من تحديد المعنى، قدم المعجم بخصوص كل المداخل معلومات عن طبيعة المدخل وبنائه، سواء كان فعلاً أم اسماً أم مصدراً أم اسم فاعل أم اسم مفعول أم مصطلحاً، مع تعدد مجال اشتغاله. كما حدد صيغ الأبنية اللغوية (أفْعَل، فَاعُول، فَعَّال، فِعّيل، مِفْعَال...) ودلالة كل صيغة من هذه الأبنية كقوله في «مِفعال» : «ترد هذه الصيغة لتبيان من دام منه الشيء، أو جرى على عادة فيه مثل : «رجل مِفضال» مديم للفضل، ونحو : مِهذار، مِطلاق، مِضحاك، كما تستخدم للدلالة على الآلة: مِفتاح، مِسجاج، مِسعار، مِلحام.» («مقدمة المعجم»، ص ص XVII-XVI).

اهتم المعجم كذلك بتحديد جنس الكلمة وعددها. فمن المعروف أن التذكير والتأنيث من الأمور العويصة في اللغة العربية مما جعل القدماء يولون هذا الموضوع أهمية كبيرة ويخصصون له مصنفات ورسائل، لأن كل الكلمات التي فيها علامة التأنيث ليست بالضرورة مؤنثة، كذلك ليست كل كلمة خلت من هذه العلامة هي مذكر. فهناك مجموعة كبيرة من الكلمات لا يعرف جنسها إلا بالسماع والحفظ. وإذا كانت المعاجم القديمة والحديثة لم تهتم كثيراً بهذا الموضوع ولم تتبع منهجاً واضحاً ومحكماً في تحديد جنس المدخل، فإن معجم الغني الزاهر حدد جنس الكلمة مشيرا إلى المؤنث، الذي أغفلته كثير من المعاجم، بوضع تاء مربوطة (ةٌ)، وذَكر مؤنث الكلمات التي لا يظهر فيها التأنيث («دَعْبَاء»، غُولٌ، «أرض»، «نعل»، «نار»، «دارٌ»، «ريحٌ»...) أو التي يستوي فيها التذكير والتأنيث («إبْط»، «ثاكِل» «نَفْسٌ»، «عسل» ...) أو يستوي فيها الجنسان والمفرد والمثنى والجمع («رميم») أو الكلمات التي لا مفرد لها («تَعاشِيبُ»).

والواقع أن المؤلف أعاد لتاء التأنيث قيمتها التي أهملتها المعاجم العربية القديمة والحديثة على حد سواء. فإذا كانت جل هذه المعاجم تلغي من مداخلها

ومشتقاتها ما ينبغي تأنيثه أو تستقر أغلب أمثلتها على ما هو مذكر، وذلك انطلاقاً من استواء المؤنث والمذكر في مجموعة من الصيغ (فاعلة ومفعولة وَفعيلة وَفعيلٍ وَفعولة وفَعلانة ومفعالة ومفعَلة)، فإن المؤلف اهتم بالمؤنث باعتبار أن «التمييز بين التذكير والتأنيث في حالات دلالاتهما القائمة من حيث المعنى المباشر المتعلق بالذات المستقلة لما تحمله من طبيعة متميزة، سواء أكان حقيقياً أم مجازياً، يدعو لا إلى مجرد جواز التأنيث بالتاء، بل تفرضه الوقائع المعيشية المتجلية في تطور النوع البشري واختلافاته، إضافة إلى ما عرفته المجتمعات العربية من تحولات في رؤيتها للأشياء، ونظراً لحضور المرأة في شتى الميادين، ومشاركتها الفعلية في حياة المجتمع، وتداول تاء التأنيث في الخطاب المعاصر، ولحوقها للصفات وجموعها، حيث لم يصر مفيداً تجاوزها أو إلغاؤها» («مقدمة المعجم»، ص XVII).

والمعجم لا يمكن إلا أن يتبع هذه المنهجية في كافة المداخل إيماناً منه بأن المعجم يجب أن يتضمن كل ما هو متداول، ورصد ما هو محدث في شتى المجالات، وفي الحياة العامة. وفي هذا الإطار يدخل تأنيث وجموع مصادر الأفعال الرباعية مثل «مقاومة»، «مقاومات»، و«مفاوضة، مفاوضات» التي لا نعثر عليهما في المعاجم العربية، وكذلك إثبات جموع مصادر الأفعال «الخماسية والسداسية، وجموع التأنيث السالمة، أو جمع ما لا يعقل جمع إناث، أو جمعَ (أفعلُ فعلاء) جمع تصحيح» («مقدمة المعجم»، ص XVIII).

أما بعض الجموع التي يصعب أحياناً معرفة جذورها ومفرد مفرداتها فقد أفرد لها مدخلاً مستقلاً قائم الذات لكثرة تواردها في الخطابات والنصوص الشعرية. (مثل «أَسْفارٌ» جمْع سِفْرٍ، «أَصْواءٌ» جمْع صُوَّة، «أَصْواتٌ» جمْع صَوْت، «أُصُولٌ» جمْع أصْلٍ...).

وقد عد المعجم الترقيم والعلامات والنقط والشاهد والمثال وحدة من وحدات المعجم، لأنها تزيد التعريف إيضاحاً، فالشاهد على سبيل المثال يحتل في المعجم أهمية قصوى لكونه يوضح المعنى ويفسر التعريف وينقل «المدخل من التجريد إلى مجال تطبيقاته النحوية والصرفية وسياقاته التعبيرية»

(«مقدمة المعجم»، ص XX). ويبعث حرارة دينامية في ذات المدخل. وهو في هذا يقتفي آثار المعجماتيين القدماء في معاجمهم (الخليل بن أحمد الفراهيدي في «العين»، وابن دريد في "الجمهرة"، وأبي علي القالي في "البارع"، وابن سيده في «المحكم»...)، حيث كان الشاهد والمثال يحضيان فيها بمكانة كبيرة.

استقى المؤلف شواهد معجمه من مختلف النصوص الأدبية القديمة والحديثة لأدباء يتجاوز عددهم 400 أديب وشاعر من مختلف الأقطار العربية. وتشمل هذه الشواهد، المصحوبة باسم مؤلفها، الشعر والنثر والمتلازمات والأمثال والتعابير المسكوكة، إضافة إلى الجمل المركزية التي تقدم المداخل (مقدمة المعجم، ص XX). وقد أغنى المعجم بلائحة مفصلة لكل أسماء الشعراء والكتاب والأدباء مع تاريخ الميلاد والوفاة والبلدان التي ينتمون إليها، مما يشير بشكل غير مباشر إلى عصر كل كلمة واردة في الشاهد. وهذا، إلى جانب تأكيد مصداقية الشاهد، وجعله محل تداول واستعمال، يعوض إلى حد ما غياب معجم تاريخي لألفاظ اللغة يؤرخ لتاريخها، ويرصد نشأتها وتطورها واستعمالاتها وامتداداتها.

تتميز هذه الشواهد بالملاءمة بين التعريف والسياق، وبكونها شواهد قصيرة ومعبرة. وهذا بلا شك، حتم على المؤلف اعتماد نصوص كثيرة، وكلفه كثيراً من الوقت والجهد للبحث عن الشواهد المناسبة، واختيار ما هو مناسب للاستشهاد بها.

والملاحظ، من خلال تتبعنا لشواهد المعجم، وجود علاقة موضوعية بين الشاهد والمدخل. تتجلى هذه العلاقة في الترابط في المعنى، والتناسق في السياق، حيث يتجسد المدخل في الاستعمال اللغوي ليصبح معبراً عن الدلالة التي يحملها (المدخل). وبذلك نلاحظ أن الشاهد مثل المدخل حيث يعيد استعمال هذا الأخير في الخطاب. ومن أمثلة ذلك المدخل التالي :

تَزَبَّى - [ز ب ي] (ف : خ. لا. م) يَتَزَبَّى، مص. تَزَبٌّ. 1. «تَزَبَّى الصَّيَّادُ فِي الزُّبْيَةِ»: اِسْتَتَرَ فِيها لِلصَّيْدِ. 2. «تَزَبَّى الزُّبْيَةَ» : حَفَرَهَا (الزُّبْيَةُ حُفْرَةٌ لِصَيْدِ السِّبَاعِ).

والملاحظ في هذا المدخل وفي كافة المداخل، أنه لا يوجد فعل غير خاضع لنمطية الأفعال المذكورة أعلاه، حيث نعثر على كل صفات المدخل : أولا الجذر، ثم الفعل، ثم تحديد هذا الأخير، رباعياً أو خماسياً، متعدياً أو لازماً. وهذه النسقية تخضع لها جميع المقولات الأخرى.

وبالإضافة إلى أهمية المعلومات الصرفية والأمثلة والشواهد وغيرها في تحديد المعنى، تلعب الصورة في معجم الغني الزاهر دوراً أساسياً في تعزيز موقع التعريف لأنها تنقل حقائق الأشياء حية ومجسمة، وتدعم شرح التعريف وإيضاحه. لذلك أُدرجت الصور والرسوم في المعجم لتسهيل الفهم، وتمثيل مختلف الآلات العلمية واللوحات الفنية، والخرائط الجغرافية، وصور الحيوانات. مثلاً يشير مدخل «هاتِف» إلى مستحدثات الكلمة كذكر المعجم للهاتف النقال والمحمول، مع تقديم صور للهاتف القديم والمحمول. وإيراد مستجدات العلوم في المعجم يتماشى مع وعي المؤلف بأن على المعجم الحديث أن «يتضمن جل ما هو متداول» وأن يقف «على ما جد من ألفاظ حضارية، أو مصطلحات علمية» باعتبار أن «المعاجم لم تعد مجرد مادة لاكتساب المعرفة اللغوية فقط -وهذا تحصيل حاصل- بل أضحت عالماً متحركاً متطوراً لاكتساب المعرفة الإنسانية.» («مقدمة المعجم»، ص VIII). وهذا ما يفسر وجود بعض الكلمات العامية في اللهجات العربية، مثل: «بلطجي»، «بلطجة»، و«بلطجية»، و«شبيحة» التي أصبحت، في الآونة الأخيرة، متداولة بكثرة في الإعلام.

وإلى جانب هذه الصور قدم المعجم تعريفاً واضحاً ووصفاً دقيقاً لكل أنواع النباتات والحيوانات، حيث تم تحديد فصائلها ورتبها والتعريف بخصائصها ومميزاتها، على خلاف كثير من المعاجم التي كثيراً ما تفسر الكلمات بطريقة غامضة وغير مفهومة، مثل قولهم «معروف» أو قولهم عن كلمة تكون مثلاً نوعاً من أنواع النبات أو الطيور «نبات»، «طير» دون وصفها أو ذكر أسمائها. فمثل هذا التعريف الذي لا تستقل مداخله بتعريف واضح لا نعثر عليه في معجم الغني الزاهر لأن التعريف المعجمي ضروري في هذه الحالات، مثلاً :

«باميَةٌ - (مع) (لات) (gambo) و(gombaud) (نب). : بَقْلَةٌ مِنَ الْخُضَرِ الزِّراعِيَّةِ مِنْ فَصيلَةِ الْخُبّازِيّات، لَها لَوْنٌ أَخْضَرُ، ذات قُرونٍ، بِداخِلِها حَبّاتٌ بِيضٌ تُؤْكَلُ مَطْبُوخَةً، أَصْلُها مِنَ الهِنْدِ، وَتُزْرَعُ فِي بَعْضِ بُلْدانِ حَوْضِ البَحْرِ الأَبْيَضِ الْمُتَوَسِّطِ، وَهِيَ الَّتِي يُسَمِّيها أَهْلُ الْمَغْرِبِ «مُلُوخِيَّة».

وبالنسبة للحيوانات نجده يحدد فصيلة الحيوان مع ذكر خصائصه بتفصيل كبير، كما هو الحال تحت المدخل «ابنُ آوى» و «ابن عرس» :

ابْنُ آوَى - [ب ن و] ج. بَناتُ آوَى (حو). : حَيَوانٌ مِنْ فَصيلَةِ الكَلْبِيّات، مِنْ رُتْبَةِ الضَّواري، لَهُ خَمْسة أصابعَ فِي الأَطْرافِ الأَماميَّة، وَأَرْبَعَة فِي الْخَلْفِيَّة، مَخالِبُهُ غَيْرُ غِمْدِيَّة، يَفْتِكُ بالدَّجاجِ والطُّيورِ وَيُتْلِفُ الثِّمارَ.».

ابْنُ عِرْسٍ - [ب ن و] (حو). : حَيَوانٌ ثَدْيِيٌّ مِنْ فَصيلَةِ الزَّباديّات، مِنْ رُتْبَةِ الضَّواري، يُشْبِهُ الفَأْرَةَ، مُسْتَطيلُ الجِسْم، مُتَعَدِّدُ الأَصابِع، يَفْتِكُ بالدَّواجِنِ، وَيُسَمَّى أَيْضاً سُنْعَبَةً. «وَتَظُنُّ أَنَّ ابْنَ عِرْسٍ يَحْتالُ لِلطَّيْرِ بِحيلَةِ الذِّئْبِ لِلْغَنَمِ، فَإِنَّهُ يَذْبَحُها كَما يَفْعَلُ الذِّئْبُ بِالشّاةِ» (الجاحظ).

ومن الأمثلة كذلك عن التعريفات المناسبة في معجم الغني الزاهر تحديده المعنى بشكل دقيق، ومن خلال إيراد أمثلة تقرب المعنى كما نلاحظ في المدخل (تلغراف) :

تِلِغْرافٌ - ج. ات. (د). مُرَكَّبٌ مِنْ (télé) و 1. (graphe) .: جِهازُ إِرْسالِ البَرْقِيّاتِ. 2. «تَوَصَّلَ بِتِلِغْرافٍ»: رِسالَةٍ قَصيرَةٍ مَبْعوثَةٍ بَرْقِيّاً.

وكذلك في المدخل :

جِصٌّ، جَصٌّ - [ج ص ص] (لات). (gypsus). (يو) 1. (gypsos). : ما تُطْلَى به الْجُدْرانُ مِنَ الكِلْسِ. 1 «طَلَى جُدْرانَ البَيْتِ بِالجِصِّ». 2. : جِبْسٌ، مادَّةٌ تُرابِيَّةٌ بَيْضاءُ تُطْبَخُ وَتُعْجَنُ وَتَصيرُ يابِسَةً بَعْدَ أَنْ تُطْلَى عَلَى العُضْوِ الْمُصابِ. 1 «طُلِيَتْ رِجْلُهُ بِالجِصِّ عَلَى أَثَرِ كَسْرٍ».

هذا في الوقت الذي تكتفي فيه بعض المعاجم بتعريف مقتضب للمدخلين المذكورين أعلاه («تِلِغْراف» و«جِصٌّ»): كما جاء مثلا في القاموس المحيط.

وبصفة عامة نلاحظ أن معجم الغني الزاهر يتميز بالخصائص التالية :

- إحكام ضبط نطق الكلمة بالشكل التام، باعتبار أن النظام الكتابي في مجمله لا يمثل النطق تمثيلاً دقيقاً،
- عدم استخدام كلمات لم يسبق شرحها في المعجم. وهذا ما أشار إليه المؤلف في المقدمة حينما كتب: «وكل مفردة واردة في الشرح من المفروض أن تجد مكاناً لها من بين مداخل المعجم، وهذا ما يعد محكاً للمدونة في حد ذاتها» (ص. X). نلاحظ ذلك حتى بالنسبة للأمثلة التي يوردها المؤلف على سبيل التوضيح، مثلاً في المدخل «تَجابَه» نجد كلمات المثال، الموضوع بين مزدوجتين لتمييزه عن باقي النص، مستقلة بمداخل خاصة :

تجابَهَ- [ج ب ه] (ف : خ. لا). يتجابَهُ، مص. تجَابُه. «تَجَابَه المدّعُون» : التَقوا وَجْهاً لِوَجْه في صِدَام، تَصادَمُوا. «تَجابَهَتِ القُوَّاتُ في سَاحَةِ المَعْرَكَةِ فاخْتَلَطَ الحَابِلُ بِالنَّابِلِ.»

يشكل كل من «حابل» و «نابل» مدخلاً مستقلاً بذاته مع تكرار المتلازمات «اختلط الحابل بالنابل» تحت كل مدخل.

والملاحظ من خلال الأمثلة المقدمة في هذا العرض أن المؤلف يحرص كثيراً على الإتيان بشروح بسيطة أسهل من الكلمة المشروحة.

- يتجنب المعجم تعويض الشرح بالمقابلات التي ليست سوى تكراراً لمشتقات المدخل، مثل الأمثلة التي يوردها المؤلف من معجم الوسيط والذي يشرح «سجَّنه» ب «سجَنه»، «أسهب» ب «نزل السُّهب». لا نجد هذا النوع من التفسير في المعجم، حيث يقدم مؤلف الغني الزاهر تفسيراً واضحاً :

سَجَّنَ - [س ج ن] (ف : ر. م). يُسَجِّنُ، مص. تَسْجِينٌ. 1.«سَجَّنَ الشَّيْءَ»: شَقَّقَهُ. 2. «سَجَّنَ المُتَّهَمَ» : حَبَسَهُ، سَجَنَهُ. 3. «سَجَّنَ النَّخْلَ» : حَفَرَ في أُصولِها حُفَراً تَجْذِبُ الماءَ إِلَيْها.

أَسْهَبَ - [س ه ب] (ف : ر. لا. م. مح). يُسْهِبُ، مص. إِسْهابٌ. 1. «أَسْهَبَ الرّاعِي» : نَزَلَ السَّهْبَ. 2. «أَسْهَبَ الفَرَسُ»: اِتَّسَعَ جَرْيُهُ وَسَبَقَ. 3. «أَسْهَبَ

الرَّضِيعُ» : بالَغَ في الرَّضاعِ. 4. «أَسْهَبَ في حَدِيثِهِ أَوْ أَسْهَبَ الكَلامَ»: أَطالَ، تَوَسَّعَ. 5. «أَسْهَبَ في عَطائِهِ» : مَنَحَ الشَّيْءَ الكَثِيرَ. 6. «أَسْهَبَ الدّابَّةَ»: أَهْمَلَها تَرْعَى.

سَهْبٌ - ج. سُهوبٌ. [س هـ ب] 1. : أَرْضٌ بَعِيدَةٌ سَهْلَةٌ». 1 «انْتَقَلَ الرّاعي بِماشِيَتِهِ مِنْ سَهْبٍ إلى سَهْبٍ». 2.«أَرْضٌ سَهْبٌ»: فَلاةٌ، واسِعَةٌ. 3. «فَرَسٌ سَهْبٌ» : شَدِيدُ الْجَرْيِ. 4 .«مَضَى سَهْبٌ مِنَ اللَّيْلِ» : وَقْتٌ مِنْهُ.

وحتى في الحالات القليلة التي يضطر فيها إلى تكرار مشتقات المدخل، فإنه في الغالب يحدد المعنى في هذا المدخل دون الحاجة إلى البحث عن معناه في موضعه مثلاً :

تَزَبَّى - [ز ب ي] (ف : خ. لا . م) يَتَزَبَّى، مص. تَزَبٌّ. 1. «تَزَبَّى الصَّيَّادُ فِي الزُّبْيَةِ» : اسْتَتَرَ فِيها لِلصَّيْدِ .2.«تَزَبَّى الزُّبْيَةَ»:حَفَرَهَا(الزُّبْيَةُ حُفْرَةٌ لِصَيْدِ السِّبَاعِ).

يقدم المعجم في مواضع كثيرة مجموعة من المترادفات «للمفردة الواحدة لتوسيع آفاق معانيها المتعددة، وتنمية المعرفة المفرداتية» («مقدمة المعجم»، ص XI)، لأن المرادف الواحد، في نظر المؤلف، «قد يجعل القارئ بعيداً عن معناه الدقيق والأصيل» (المرجع السابق، ص XXIX)، مثلاً يقدم للمدخل «تَارَةً» ثلاث مقابلات :

تارَةً - ج. تارات. [ت و ر] «يسيرُ تارَةً راكِباً وتارَة ماشِياً : حِينًا، مَرَّةً، طَوْراً . (قرآن) وَمِنْها نُخْرِجُكُم تارَةً أُخْرَى.

- يتفادى المعجم استخدام التعريف والشرح الدوري بالمرادف، بمعنى أنه يتجنب الانتقال بين المداخل للحصول أخيراً على المعنى المطلوب، لذلك نجده يقدم مرادف/ مرادفات المدخل مع شرح المعنى مباشرة مما يجنب المستعمل، في كثير من الأحيان، البحث عن الكلمة في موضع آخر :

دَرَنَةٌ - [د ر ن] 1. (نب). : عَسْقَلٌ، عُسْقولٌ. جُزْءٌ مِنْ ساقٍ نَباتِيَّةٍ، أَوْ مِنْ جِذْرٍ نَباتِيٍّ يَحْتَوِي على مَوادَّ غِذائِيَّةٍ، وَيكونُ مُكْتَنِزاً مُنْتَفِخاً (...).

ومثله المدخل التالي :

دَمُ الأخَوَيْنِ - [د م ي] (نب).: عَنْدَمٌ، أي صِبْغَةٌ حَمْراءُ بُنِّيَّةٌ، تُفْرِزُها بَعْضُ الأشْجارِ، اِسْتَعْمَلَها القُدَماءُ في الطِّبِّ.

والملاحظ أنه في حالة الاكتفاء بالمرادف الواحد فإننا نجد إلى جانب هذا المرادف أمثلة أو شواهد شعرية تغني وتوضح المعنى، كما أن المرادف المحال عليه في التعريف نجده في موضعه كمدخل مستقل مثلما هو الحال في المدخلين السالفين حيث نجد في مدخل مستقل «عَسْقَلٌ» و «عَنْدَمٌ» ومثله في المدخل «رُسَّة» :

رُسَّةٌ - [ر س س] : قَلَنْسُوَةٌ، أُرْسوسَةٌ. نجد المرادفين (قَلَنْسُوَةٌ، أُرْسوسَةٌ) في مدخلين مستقلين، بالإضافة إلى توضيح معنى «رُسة» من خلال الشاهد التالي : «أَفْلَحَ مَن كانَتْ لَهُ ثِرْعامَهْ وَرُسَّةٌ يُدْخِلُ فيها هامَهْ».

قَلَنْسُوَةٌ - ج. وات، قَلانِسُ. [ق ل س] : طاقِيَّةٌ، غِطاءُ الرَّأْس، أَشْكالُها مُتَنَوِّعَةٌ حَسَبَ الْمَناطِقِ. l"تَعْلُو رُؤُوسَهُنَّ قَلَنْسُواتٌ مُلَوَّنَةٌ عَلَى شَكْلِ أَسْنِمَةِ البُخْتِ" (أحمد التوفيق).

أُرْسُوسَةٌ - ج. أَراسِيسُ. [ر س س] : قَلَنْسُوَةٌ.

«ثِرْعامَةٌ» لها أيضاً مدخل مستقل يحدد معناها :

ثِرْعامَةٌ - [ث ر ع م] 1. «ثِرْعامَةُ الرَّجُلِ» : اِمْرَأَتُهُ. 2. «ثِرْعامَةُ النّاظورِ» : مِظَلَّتُهُ.

«أَفْلَحَ مَنْ كانَتْ لَهُ ثِرْعامَهْ يُدْخِلُ فيها كُلَّ يَوْمٍ هامَهْ».

يتكرر نفس الشاهد في المدخلين «رُسَّة» و «ثِرْعامَةٌ» لكن هذا التكرار ليس معيباً لأنه يظهر تحت مدخلين مستقلين ولأن في إعادته توضيحاً للمعنى. وهذا ينطبق أيضاً على «خَصْخَصَ» و«خَوْصَصَ» و«خَصْخَصَة» و«خَوْصَصَة». وهو تكرار يجد تفسيره في كون هذه المداخل عبارة عن مصطلحات محدثة، ويختلف نطقها حسب استعمالها في المغرب أو المشرق.

وهذه الطريقة التي تتفادى الغموض والإبهام في الشرح نتيجة استخدام ألفاظ هي نفسها في حاجة إلى شرح تُجنب المعجماتي السقوط فيما يطلق عليه علماء المعاجم المعاصرون مصطلح «الدور» la circularité.

وهكذا نلاحظ أن المؤلِّف حرص على اتساق المادة اللغوية، من حيث ترتيب المداخل وتحديد مجال استعمالها، واتباع منهج واضح في تعريفها، وعمل على مواكبة المستجدات اللفظية وغيرها من الأمور التي فاتت الكثير من المعاجم اللغوية السابقة.

خلاصة

إعداد المعاجم اللغوية أو غيرها عملية صعبة وشاقة، تتطلب كثيراً من الجهد والصبر والإلمام بمختلف الألفاظ والاستعمالات والتراكيب والدلالات الحديثة المستعملة في الميادين والحقول المختلفة ... فجمع المادة وترتيب المداخل والمعلومات والدلالات وتعريفها ومراجعة المادة والشروح وغيرها من الأمور المعروفة في الصناعة المعجماتية مهمة صعبة لا يقدرها إلا من زاولها.

ونظراً لقيمة وأهمية هذا المعجم نتمنى أن تتم متابعة هذا العمل بالتنقيح والزيادة والتحسين والتجويد والإصلاح، وإضافة الألفاظ والاستعمالات المُستجَدَّة، وإصدار الطبَعات تلوَ الطبَعات بين فترات وجيزة لمواكبة السرعة الهائلة التي أصبحت في عصر السرعة تتحكَّم في تطور اللغات. ومن المؤكد أن صاحب المعجم سيعمل على تحيين هذه الطبعة باستمرار لأنه دائماً يحث على ضرورة تحيين المعاجم معيباً على المعاجم العربية عدم مواكبتها لمستجدات العصر. وفي هذا يقول : «من مهام المعجم ووظائفه مواكبة تطور اللغة في مختلف المسارات، مما يجعله خاضعاً للتجدد والإضافات، حيث يصبح مرآة اللغة في حلِّها وترحالها.» («مقدمة المعجم»، ص V).

المراجـــع

- أبو العزم، عبد الغني، «التعريف وإشكالية الشاهد في المعجم»، ندوة التعريف وقضاياه في القاموس، جمعية المعجمية العربية بتونس، وكلية الآداب والفنون الإنسانيات بمنوبة، والجمعية المغربية للدراسات المعجمية- المغرب، 22/6-23-24، 2006.
- ـــــ، معجم الغني، الرباط: مؤسسة الغني للنشر، 2001.
- ـــــ، معجم الغني الزاهر، (قيد النشر).
- ـــــ، «الصورة في المعجم، وظائفها اللغوية والثقافية والعلمية»، ندوة تكريم الدكتور ادريس نقوري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عين الشق-الدار البيضاء، 2007.
- ابن دريد، محمد بن الحسن بن دريد، جمهرة اللغة، دار العلم للملايين، مج. 3. 1987-1988.
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المحكم، تحقيق عبدالحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية، (دون تاريخ).
- الجر، خليل، المعجم العربي الحديث، مكتبة لاروس، 1987.
- الزمخشري، أبي القاسم جار اللّه محمود بن عمر بن أحمد، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، بيروت : دار الكتب العلمية، (دون تاريخ).
- العلايلي، عبد اللّه، معجم المرجع، بيروت : دار المعجم العربي، 1963.
- الفيروزبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي (دون تاريخ).
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، تحقيق عبد اللّه درويش، الطبعة الأولى؛ دار الفكر العربي، 1967.
- القالي، أبو علي، البارع في اللغة، تحقيق هاشم الطعان، الطبعة الأولى؛ بيروت : مكتبة النهضة، بغداد: دار الحضارة العربية، 1967.
- المعجم الوسيط، القاهرة : مجمع اللغة العربية، 1960.